

# 8

---

الباب الثامن

تطور النضال لتحرير فلسطين



## نضال حركة فتح

ظلت فتح لغزاً للحكومات العربية حتى منتصف الستينات. أي نوع من المنظمات هي؟ وماذا تفعل؟ لقد ظهرت فتح على الملأ عام 1965، عندما أعلنت الكفاح المسلح لتحرير فلسطين، حيث شن فدائيوها الهجمات على المشروعات التي بنتها إسرائيل لسرقة مياه نهر الأردن. كان ذلك في أول كانون ثاني/يناير 1965. لقد أطلق على هذا اليوم إسم "الإنطلاقة". لقد أصبح هذا اليوم عيداً لحركة التحرر الوطنية الفلسطينية، يحتفل به كل الشعب الفلسطيني، وليس حركة فتح فقط.

تأسست حركة فتح في النصف الأخير من الخمسينات من القرن العشرين. أسسها عدد من الفلسطينيين الذين كانوا يعملون في مختلف الدول العربية. تولى ياسر عرفات قيادة فتح منذ تأسيسها حتى وفاته. قبل ذلك كان ياسر عرفات رئيساً لإتحاد طلبة فلسطين.

يُطلق على جيل المؤسسين لحركة فتح من أمثال ياسر عرفات و القدومي وأبي إياد وأبي جهاد "الجيل الأول". وفيما يتعلق بي فإنني أنتمي للجيل الثاني.

في منتصف الستينات كان هناك عدد قليل منضمٌ إلى حركة فتح، وكانت محدودية العدد تُعزى إلى أن النشاط كان سرياً. ومع ذلك فإن فتح قد طورت نضالاً نشطاً، حيث أتبعته الإنطلاقة

الأولى في عام 1965 بإنطلاقة ثانية في آب 1967، عندما كان يسود العالم العربي جو كئيب نتيجة لهزيمة حرب حزيران 1967. في ذلك الوقت قررت فتح إدخال عدد من قادتها وكوادرها إلى المناطق المحتلة. كان عرفات أحدهم. كان النضال في هذه الفترة يتركز على مقاومة الإحتلال الصهيوني وتنظيم المقاومة الشعبية.

حتى عام 1966 كان مجال أنشطة حركة فتح مركزاً أساساً في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي كانت فيها قواعد لل فدائيين. كان لكفاح فتح ضد واقع الإحتلال الصهيوني الجديد أثر هام جداً على مسار تحرير فلسطين. خلال هذه الفترة كان الأردن يعتبر "قاعدة آمنة" لفتح، إنطلقت منها إلى الضفة الغربية وقطاع غزة وإلى داخل إسرائيل نفسها.

إستمرت فتح في النضال السري لما يزيد على عشر سنوات، إلى أن ظهرت إلى العلن بإعلان الإنطلاقة عام 1965. وبعد معركة الكرامة آذار 1968 مباشرة انتشرت فتح واتسعت بشكل كبير وملحوظ.



## معركة الكرامة

في الخامسة من صباح 21 آذار/ مارس 1968 قامت الوحدات المدرعة للقوات الحربية الإسرائيلية الأرضية والمكونة من 9000 فرد، تساندهم قوة الطيران، بعبور نهر الأردن ومهاجمة بلدة

الكرامة،. كانت الكرامة عبارة عن مخيم كبير للاجئين الفلسطينيين. كما كانت فيها قاعدة فدائية صغيرة جداً بالمقارنة بالقوات الصهيونية. وعندما تم تحذير الفدائيين الذين كان عددهم حوالي 400 من هجوم العدو قرروا بالإجماع الصمود والمقاومة.

بدأت المعركة حين هاجمت القوات والمدربات الإسرائيلية قاعدة الفدائيين، الذين قاوموا هذا الهجوم بعنف، شاركهم في ذلك إخوانهم في الجيش الأردني، وبعد أن إنتهت ذخيرة بنادقهم بدعوا بالقفز وتسلق المدرعات قاذفين القنابل اليدوية على الجنود الإسرائيليين.

لقد كانت مقاومة الفدائيين الفلسطينيين أقوى كثيراً مما توقعه الصهاينة فقتل وجرح العديد من الضباط والجنود الإسرائيليين، وتراجع الإسرائيليون الصهاينة مع غروب الشمس، تاركين وراءهم ثماني عشرة مدرعة مدمرة. لقد سقط العديد من الشهداء والجرحى والمصابين على الجانب الفلسطيني. إلا أن قوة وشجاعة المقاومة دمرت بالكامل خرافة "الجيش الذي لا يقهر". وعلى عكس كل التوقعات تمكن الفدائيون الفلسطينيون من كسب معركة ضد عدد كبير من القوات الإسرائيلية، وهذا النصر أعطى دفعة معنوية قوية وولد صحوة لدى كل الدول العربية التي عانت من هزيمة حرب حزيران 1967.

في ثائه على معركة الكرامة قال الرئيس المصري جمال عبد الناصر:

"إن الثورة الفلسطينية هي أكثر الظواهر نُبلاً بعد حرب 1967".

ولقد قال ذلك تقديراً وإجلالاً للفدائيين الفلسطينيين وللحفاظ على هيبة الفدائيين الفلسطينيين، وضد القوى المعارضة لفضالهم. وأضاف:

"إن حركة المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران/ يونيو عام 1967 كانت إشراقة لحركة التحرير في العالم العربي".



## إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية

تجرع العالم العربي كأس المهانة عام 1967 نتيجة الهزيمة النكراء في حرب حزيران. لقد انهزمت قوات عدد من الدول العربية أمام الغزاة الإسرائيليين الصهاينة في ستة أيام فقط. إحتلوا فيها كل جزيرة سيناء والضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان، ومنذ تلك الحرب وحتى الآن لا تزال إسرائيل تحتل كل فلسطين، مما نتج عنه مزيد من اللاجئين الفلسطينيين.

منذ عام 1948 إلى عام 1967 كل ما فعلته معظم، إن لم يكن كل، الأحزاب السياسية العربية هو الإقتصار على رفع الشعارات فقط. ولم تحقق شيئاً ملموساً بما في ذلك تلكم الأحزاب السياسية التي كانت تعتبر عالية التنظيم. أما الحزب السياسي

إذا ما أصبح في سدة الحكم فإنه غالباً ما كان ينسى ما تريده الجماهير.

في ظل هذه الظروف السياسية، أوقف العديد من أبناء الشعب الفلسطيني أنشطتهم في الأحزاب السياسية التي كانوا ينتمون إليها، وبدءوا يتلمسون الطريق للوصول إلى ما يتعين عليهم أن يفعلوه لتحرير فلسطين، وما هي المنظمة التي ستحقق تحرير فلسطين، وبدءوا في الانضمام إلى المنظمات الفدائية التي كانت رائدتها انطلاقة فتح. كانت أنشطة هذه المنظمات تتسم بالسرية.

لقد إزدادت مشاعر الشعب الفلسطيني الوطنية وكبر أمله في التحرير بعد إنطلاقة عام 1965 والنصر في معركة الكرامة عام 1968. لقد وصل جو الإنتفاضة هذا إلى قمته في العامين 1969 و 1970 حيث تم تكوين العشرات من المنظمات الفدائية الفلسطينية. لعبت فتح دوراً قيادياً وريادياً في هذه المنظمات و أثبتت نضالاتها أن نضالات الشعب الفلسطيني قادرة على تحرير فلسطين مستقلة و فاقت أنشطتها كل الأنشطة السابقة عليها، والتي تمركزت حول الأحزاب السياسية العربية، أو إعتمدت على الحكومات العربية. بدأ الشعب الفلسطيني يلتف حول فتح بعد أن قطع روابطه بالأحزاب السياسية العربية المختلفة، وعلى ذلك فإن فتح تكونت من أبناء الشعب الفلسطيني بغض النظر عن إنتماءاتهم السياسية السابقة.

كنا واثقين أنه يتعين على معظم، إن لم يكن كل، الشعب الفلسطيني أن يشاركوا في فتح حتى نستطيع أن نحرر فلسطين.

بكلمات أخرى، كان من غير المفيد أن نناقش كيف نبيع السمك قبل أن نصطاده، ومن غير المفيد أن نناقش كيف نبيع الفراء قبل أن نصطاد الدببة. كان علينا أن نرتفع بأنفسنا للعمل الوطني ذي الهدف الأوحد وهو تحرير أرضنا. وعلى ذلك أعلنت فتح عن نفسها كحركة التحرير الوطني الفلسطيني، وكانت أرضيتها وأجندتها مختلفة عن أرضيات وأجندات الأحزاب السياسية العربية التي سبقتها.

في كفاحنا في حركة فتح يمكن إعتبار معركة الكرامة نقطة تحول تاريخية وعلامة فارقة على طريق تحرير فلسطين، فبعد هذه المعركة إنضم العديد من الفلسطينيين إلى حركة فتح الواحد تلو الآخر. وبدأ التأييد الوطني الكاسح من الشعب الفلسطيني يتركز على حركة فتح.

بهذه الطريقة إزداد بسرعة تأثير فتح على منظمة التحرير الفلسطينية وما أن حلت نهاية عام 1968 حتى سيطرت حركة فتح على منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي شباط 1969 تقلد ياسر عرفات منصب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ما أظهر بوضوح أن إعادة بناء وتنظيم منظمة التحرير الفلسطينية قد تم، وأصبحت منظمة التحرير الفلسطينية هي أول منظمة للشعب الفلسطيني يلتف حولها كل الفلسطينيين.



## حركة فتح

كما قلت سابقاً، كانت عضوية فتح محدودة حتى منتصف الستينات من القرن العشرين، إلا أنه بعد معركة الكرامة تعززت حركة تحرير فلسطين بشدة مما فرض علينا التوسع في عضوية حركة فتح. لقد كانت فتح حتى هذا الوقت مقتصرة على منظمة سرية تعتمد على نشاط الفدائيين.

سوف أشرح ذلك باستخدام إستعارة من مهنتي كمهندس ميكانيكي، إنه من الأصعب بمكان أن توسع نفقاً صغيراً إلى نفق ذي قطر أكبر من أن تبني من جديد نفقاً كبيراً ذا قطر أكبر. ذلك لأن توسعة النفق الأول صغير القطر تحكمه الظروف المحيطة، حيث يجب أن يؤخذ في الاعتبار صخور المناطق الجبلية والأنهار والعوامل الطبوغرافية المحيطة.

كان علينا أن نوسع قطر النفق القائم عدة مرات، لذلك واجهتنا بعض المصاعب والمشكلات التقنية. فمعظم كوادرننا لم يكن لديها خبرة في العمل التنظيمي، ذلك أن معظمهم لم يكن قد أنضوى تحت لواء حزب سياسي، مما جعل مهمتنا أصعب كثيراً.



بني التنظيم الأساسي لفتح على الشكل الهرمي. كان يطلق على الوحدة التنظيمية إسم "الشعبة" وهي بمثابة الفرع. والوحدات التي كانت تشكل قاعدة الهرم كانت تسمى "الخلية"، وتتكون من أمين سر الخلية وثلاثة أو أربعة أعضاء، وهي أول المستويات. كان أمين سر كل خلية يشكل مع نظرائه خلية من

المستوى الثاني، ويستمر ذلك إلى أعلى المستويات التنظيمية. كان هناك خمس مستويات تنظيمية. وأفراد كل خلية يعرف بعضهم بعضاً، إلا أنهم لم يكونوا يعرفون أي فرد من المستوى الأعلى. هذا ينطبق على أمناء سر الخلايا حيث أن كل أمين سر خلية لم يكن يعرف الأعضاء المنضمين لخلية أخرى. وكان عدد أعضاء كل شعبة يصل إلى حوالي 500 فرد كان يوجد في عمان في هذه الفترة ما بين 15-20 من هذه الشعب، يصل عدد أعضائها إلى حوالي 10.000 عضو.

كان لكل عضو عمله الخاص به في حياته اليومية حيث كانوا يعملون في شتى المجالات. كمهندسين وأطباء وعمال وموظفين... الخ.

هذه هي خريطة النشاط السري في عمان، إلا أن ذلك لم يكن هو التنظيم الوحيد لفتح في عمان، حيث كان هناك أشكال أخرى من التنظيم.

كان هناك التنظيم الأفقي، في هذا التنظيم كان هناك شخص مسؤول عن بعض الأعضاء على مستوى فردي. ففي التنظيم السري كان كل أمين سر في مجموعة يعتبر أعلى قليلاً من الناحية التنظيمية عن أعضاء الخلية، لكن في التنظيم الأفقي فإن كوادر أعلى من موقع أمين سر الخلية الصغيرة هم من كانوا يقودون أعضاء في هذا التنظيم الأفقي.

وعلى العكس من التنظيم الهرمي، ففي التنظيم الأفقي يوجه عضو عضواً آخر على أساس رجل لرجل بدلاً من إجتماع الخلية، وأمين سر الخلية يعرف كل أعضاء الخلية، إلا أن أعضاء كل خلية

لا يعرف بعضهم بعضاً. والتنظيم الهرمي لم يكن تنظيمياً مفتوحاً، ولكننا من الممكن أن نقول إنه أكثر التنظيمات السرية إنفتاحاً. ومن جهة أخرى فإن التنظيم الأفقي كان يستخدم لتجنيد الأفراد الذين كانوا يرغبون في أن يكون تجنيدهم سرياً، وذلك لحساسية وطبيعة أعمالهم، وكانوا نشطين في أكثر المواقع حساسية. ولذلك كان ينبغي الإهتمام بهم والحفاظ عليهم.

بالإضافة إلى ذلك كان هناك نوع آخر من التنظيم، يطلق عليه "السلسلة"، حيث يكون العضو مسئولاً عن عضو آخر، وهذا الأخير مسئول عن عضو ثالث... وهكذا. وكان كل عضو يعرف فقط من هو قبله ومن هو بعده. كانت كل أربع سلاسل تشكل وحدة واحدة، مما يعني أن أمناء سر السلاسل كانوا يعرفون بعضهم بعضاً، إلا أنه كانت هناك بعض الحالات التي تمثل فيها السلسلة في حد ذاتها وحدة مستقلة.

بهذه الطريقة كانت فتح تتكون من عدة تركيبات تنظيمية. وكانت هذه تشكل مليشيات فتح. وبالإضافة إلى هذه البنية والتراكيب، كانت هناك بني أخرى متخصصة كالمخابرات والرصد وتنظيم الغربي المختص بشئون الأرض المحتلة، ومكتب التعبئة والتنظيم، وهو الذي كان يعمل على تحضير وتفريغ العناصر ويوفر الأعضاء للبنى والأشكال التنظيمية الأخرى.



مع أن حركة فتح منظمة سرية، إلا أنه كانت تُعقد إجتماعات عامة بانتظام للقادة في الحركة ويحضرها عدد من الأعضاء من

مستويات مختلفة، كانت هذه الاجتماعات تعقد بشكل سري وتحدد فيها المسؤوليات والمواقع. إلتزمت حركة فتح بنظام الديمقراطية المركزية، وهذا يعني تنفيذ قرارات القيادة من جانب، وعلى الجانب الآخر تعني أن القيادة تأخذ بعين الإعتبار تقارير وإقتراحات الكوادر التنظيمية وبذلك تتحقق الديمقراطية المركزية.

لكل عضو في التنظيم إسمه الحركي، وإذا كان العضو ينتمي إلى عدة أجهزة في التنظيم كانت له أسماء حركية متعددة. كان للعديد من الأعضاء اسمان أو ثلاثة أسماء حركية مختلفة. في النهاية أصبح القادة الفلسطينيون معروفين أكثر بأسمائهم الحركية لا بأسمائهم الحقيقية.

كمثال على ذلك، أصبح الرئيس القائد ياسر عرفات معروفاً بإسمه الحركي "أبو عمار"، وكذلك السيد فاروق القدومي بإسم "أبو لطف". ولما كان معظم الأعضاء إكتسبوا أسماءهم الحركية قبل زواجهم، فإن بعضهم بعد أن تزوج وأنجب سميّ أبناءه طبقاً لاسمه الحركي.



## التدريب العسكري للمليشيا

في تلك الأيام لم تكن وسائل الإتصال في عمان متقدمة كما هو الحال في طوكيو الآن. كانت التنظيمات السرية تعاني من الكثير من القيود، إلا أنه كان من الممكن لمعلومة أو تعليمات معينة أن تصل إلى كل عضو في التنظيم في أقل من ساعة واحدة.

ولنفرض أننا سنقوم بمظاهرة أو نقوم بإضراب غداً، فإن هذه المعلومة يمكن أن تصل إلى أعضاء فتح خلال ساعة أو ساعة ونصف على أكثر تقدير بفضل الشبكة المحكمة للتنظيم.

قبل معركة الكرامة، لم تكن حركة فتح سوى تنظيم عسكري صغير. وعدد من كان لديهم سلاح في السر في منازلهم أو تدرّبوا عسكرياً قليلاً جداً.

فيما يتعلق بالسلاح، كان لدى أعضاء فتح بضع عشرات من البنادق والمدافع الآلية على أكثر تقدير، إلا أن عدد الأعضاء قد زاد بعد معركة الكرامة. مما توجب تأمين عدد أكبر من البنادق.

بما أن التنظيم الأساسي لحركة فتح هو الميليشيا، كان يتعين على جميع الأعضاء أن ينضموا إلى التدريب العسكري، الذي كان عبارة عن تدريبهم على استخدام الأسلحة التي يمكنهم الحصول عليها، فكانوا يتدربون على استخدام المسدسات والبنادق الآلية، كما كان هناك تدريب على استخدام القنابل وقنابل المولوتوف وبعض المتفجرات الأخرى.

إلا أن بعض الأعضاء لم يتمكنوا من الانضمام إلى التدريب العسكري الذي كان يستمر لمدة أسبوع أو إثنين وذلك لتعارض ذلك مع مواعيد وطبيعة أعمالهم، وبالنسبة لهؤلاء كان من المتاح لهم التدريب العسكري ليلاً، والذي كان متاحاً تقريباً كل يوم. كما أن هناك بعض التدريب الذي كان متاحاً في المنازل، حيث كان يتم التفكير في وسائل مختلفة للتدريب بناءً على ظروف كل عضو.

ما أن حل عام 1970 حتى أصبح لدى 60% من أعضاء حركة

فتح سلاح من نوع ما، كانت القيادة المركزية لحركة فتح هي التي توفر السلاح، وعادة ما كان الأعضاء يعودون إلى منازلهم حاملين معهم بنادقهم الآلية، بعد التدريب العسكري. ومع أن العديد من الأعضاء الآخرين طلبوا تزويدهم بالبنادق الآلية. إلا أنه في ذلك الوقت كان من الصعب جداً تلبية جميع الطلبات المتزايدة.



تعلمنا الكثير عن العديد من حركات التحرر في العالم. لم ندرس فقط خبرات الآخرين في كفاحهم ونضالهم، لكننا ذهبنا إلى العديد من الدول سعياً وراء التدريب. بالإضافة إلى العديد من الدول العربية، فإن كوادر حركة فتح قد تدريبوا عسكرياً في بعض الدول الأخرى كالصين وفيتنام والإتحاد السوفيتي وكوبا. عدد كبير تدرب في الجزائر، حيث قدمت لنا كل التسهيلات الممكنة من البداية. لقد فتحت أولى المكاتب لحركة فتح في العالم في كل من دمشق والجزائر. في الجزائر كان يتم تدريب كوادرنا في المعسكرات الجزائرية.

بالطبع لم يقتصر التدريب على التقنيات العسكرية، بل درسنا تاريخ الثورة الصينية والفيتنامية والجزائرية، كما درسنا خبراتهم وأيديولوجياتهم. وفيما بعد تم رد الدين عن طريق تدريب الحركات الثورية للشعوب الأخرى في معسكراتنا، حيث نقلنا إليهم خبرتنا وتجربتنا.



بذلت حركة فتح مجهوداً كبيراً في جمع الأموال من أعضائها لإستخدامه في أنشطتها في شراء السلاح وغير ذلك. كانت الأموال تجمع بشكل تطوعي ولم تحدد كمية المبالغ التي تجمع من كل عضو، وحيث أن معظم الأعضاء كانوا موظفين أو عاملين يتلقون رواتب شهرية فقد أوصت حركة فتح بالتبرع بما يقارب 5% من الدخل الشهري لكل عضو، ويختلف ذلك من شخص لآخر. في حالتي فقد كنت أتبرع بـ 5% من مرتبي، إلا أنني قد زدت هذا المبلغ فيما بعد عن طريق تركي للتدخين، ومع أنني كنت أدخن كثيراً، ستين سيجارة يومياً، إلا أنني كنت أعيش في مناخ ثوري مثالي، لذلك فقد توقفت عن التدخين تماماً. وفجأة في صباح أحد الأيام، قدمت لفتح المبلغ الذي كنت أشتري به السجائر.

لقد واجه النشاط السري العديد من المشاكل، وهذا ينطبق على كل حركة تحرر في أي دولة. في نشاطنا السري واجهنا مشاكل مثل إصدار الكتيبات، الحفاظ على الأوراق السرية وغير ذلك. كما كانت هناك المشاكل المتعلقة بالإتصال والنقل. إلا أن كل هذه المشاكل قد تم مواجهتها في كل مرة وحلها وذلك بإستخدام قدراتنا وأفكارنا الخلاقة.

في الأنشطة السرية تكون الصرامة ضرورية لعقد أي إجتماع. على سبيل المثال، عندما كنا نعقد إجتماعاً فلأسباب أمنية بالنسبة لنا كان يتعين على الأعضاء ألا يصلوا إلى مكان الإجتماع في نفس الوقت. في كل مرة كنا نغير ترتيب الوصول، وكذلك موعد الإجتماع. وفي نهاية كل إجتماع كنا نحدد موعد الإجتماع التالي، إلا أن مكان الإجتماع كان يتغير باستمرار وذلك للتمويه. كنا نتجنب

إستخدام السيارات لحضور الإجتماعات. وقبل مغادرة مكان الإجتماع كنا ننظف فناجين القهوة، والشاي وطفائيات السجاير. كنا لا نترك أي أثر لنا بعد الإجتماع، أي أثر قد يدل على نوعية أو هوية الذين حضروا الإجتماع أو عدد من حضر هذا الإجتماع، كما كنا لا نترك أي أوراق، بل كنا نمزقها ونخفيها في جيوبنا ثم نذروها في عدة أماكن مختلفة، وعندما كنا نتصل ببعضنا البعض كنا نستخدم رموزاً مختلفة.

لقد إشتغل النشاط السري على نضال مختلف، كان بعضنا يعبر نهر الأردن للمشاركة في عملية عسكرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وفي معظم الحالات لم تكن الأسر تعلم شيئاً عن المكان الذي ذهبوا إليه، وبعد أن يقضوا بضعة أيام خارج منازلهم كانوا يعودون في منتهى الهدوء وكأن شيئاً لم يكن. وكنا نتسم بقوة دفع ثورية مثالية جداً.



## لجنة القيادة

كانت نشاطاتي في معظمها سرية منذ إنضمامي لحركة فتح. ومن خلال خبرتي في هذه الأنشطة وجدت نفسي أرتقي تدريجياً لأخذ دوراً قيادياً.

في تلك الأيام كان التنظيم في عمان أكبر منه في أي من المدن الأخرى سواء في الأردن أو في أي من مدن الدول العربية الأخرى، سواء فيما يتعلق بالعدد أو القدرات التنظيمية. لقد إستمر الحال

كذلك حتى مطلع عام 1970. لم يكن عدد أعضاء حركة فتح في العديد من المدن والعواصم الرئيسية الأخرى كالقاهرة وبيروت، يزيد عما هو موجود في عمان.

في عام 1970 أصبحت عضواً في لجنة قيادة منطقة عمان. وغني عن القول إن النشاط تركّز في معظمه حول تنظيم هذه الأنشطة السرية لفتح على أساس يومي. بالطبع كنت مازلت أعمل مهندساً ميكانيكاً، ولذلك لم أجد الوقت الكافي للنوم فيما بين عملي في محطة توليد الكهرباء ونشاطي في حركة فتح، وغني عن البيان أنه لم يكن لدي وقت لحياتي الخاصة.

كانت إحدى المهمات التنظيمية التي كلفت بها في تلك الأيام دمج جناحي الطلاب والمرأة في الهيكل التنظيمي العام واللذين كانا منفصلين عنه حتى ذلك الوقت. والسؤال لماذا أثير الآن موضوع التكامل؟

فتح كانت ومازالت أكبر منظمات حركة التحرير الوطني الفلسطيني. إلا أنه كان يوجد لها بعض النقد من خارجها. حقيقة أن جناح المرأة منفصل عن التنظيم الرئيسي قد يعني ذلك تفرقة عنصرية ضد المرأة!! وكانت هناك أصوات مماثلة ترتفع من جانب الطلاب، وعلى الأخص الطلاب الجامعيين، حيث ادعوا أنهم ليسوا طلاباً فقط بل مناضلون مقاتلون، لذلك أصروا على أن يتكاملوا مع الجسم الرئيسي للتنظيم.

لقد ثار العديد من المشاكل حينما حاولنا إجراء دمج جناح المرأة، ففي حالة التنظيم الهرمي لجناح المرأة، كان عدد العضوات

أقل كثيراً من عدد الأعضاء في التنظيم الهرمي للرجال، ولذلك كان من الصعب في التنظيم الرئيسي تحديد موقع بعض النساء اللواتي كن أمينات سر للخلايا في جناح المرأة، أو أي منهن يمكن أن تكون على قمة الهرم. كان هناك العديد من الحالات التي كانت بعض هؤلاء السيدات زوجات أو أخوات لأعضاء في التنظيم الرئيسي، ولذلك كانت هناك حساسية واعتبارات خاصة لا بد أن تؤخذ في الحسبان عند التكامل مع الأخوة والأخوات أو الأزواج والزوجات أو الآباء والبنات الذين ينتمون إلى التنظيم.

كما كانت هناك صعوبات كذلك فيما يتعلق بعقد الاجتماعات، لأن العديد من الاجتماعات السرية كانت تعقد في المساء أو حتى ليلاً. كان من الصعب مشاركة النساء والفتيات في هذه الاجتماعات التي كانت تعقد في الساعات المتأخرة من الليل. إلا أننا كنا نحل هذه المشكلة كل حالة على حدة.



وإحدى المهمات الأخرى التي كلفت بها كانت المساهمة في التوجيه الحركي لإتحادات نقابات العمال، كان يطلق على لجنة إتحادات نقابات العمال "المكتب الحركي العمالي المركزي"، وكنت عضواً في هذا المكتب. لم تنحصر مسؤولية هذا المكتب على عمان فقط، ولكنها كانت تشمل كل العمال الفلسطينيين في كل أنحاء العالم.

كانت أنشطة إتحادات نقابات العمال نقابية مبنية على المطالبة بالحقوق. وكانت الفرص متاحة لي للإتصال بمختلف

إتحادات نقابات العمال خارج عمان، لأنني كنت عضواً في المكتب الحركي العمالي المركزي، كما كنت على إتصال مباشر مع بعض نقابات العمال مثل نقابات عمال مصفاة البترول والمصارف ومصانع الغزل والنسيج والإسمنت والفسفات والورق وغيرها .  
بجانب هذه المهام كنت أكلف في أحيان كثيرة بمهام طارئة كلها تأتي فجأة. دعني أحكي لك عن واحدة من مثل هذه المهام.



حدثت هذه الواقعة أثناء أحداث أيلول الأسود في العام 1970، حين جاء إلي أحد أصدقائي في حركة فتح قائلاً أنه من المحتمل أن تُضرب محطة إذاعة فتح بالقذائف، لأنه تم إكتشاف موقعها، وأنه يتعين عليك أن تعمل على نقل هذه المحطة إلى مكان آخر. وكما قلت سابقاً، فإنني كنت أعمل مهندساً ميكانيكياً في محطة توليد الكهرباء، لذلك كنت أعتبر بين العديد من أقاربي وأصدقائي مهندساً كهربائياً. ويبدو أن صديقي هذا طلب مني هذا الطلب بناء على الاعتقاد الخاطئ بأنني مهندس كهربائي.

لقد كانت محطة الإذاعة تلعب دوراً هاماً في تعبئة الجماهير، وفي نقل المعلومات والتعليمات. فإذا تم تدميرها فسيؤثر ذلك على معنوياتهم. ولم يكن إرسال الإذاعة منتظماً، بل إن بعض البرامج كانت تستمر على الهواء لعدة ساعات بدءاً من الساعة السادسة مساءً.

لقد إندهش صديقي عندما أخبرته أنني لست مهندساً كهربائياً، وأن نقل محطة الإذاعة عمل صعب للغاية، حتى بالنسبة لمهندس كهربائي، حيث أن ذلك يحتاج إلى خبرة واسعة.

فماذا نفعل؟ ليس أمامنا سوى ساعتين ليبدأ بعدها حظر التجول الليلي، لذلك كان الوقت ضيقاً جداً.

ما قمت به عندئذ هو الذهاب إلى موقع المحطة أولاً، ثم فك أجزاء الأجهزة والمعدات، ونقلها إلى مكان آمن. وأثناء فكي ونقلها للأجهزة كنت أقوم بتسجيل المعلومات عن مواضع التحكم والضبط في المؤشرات والعدادات. وعندما قمت بتجميع المحطة كم كانت دهشتي كبيرة عندما بدأت المحطة بالإرسال بشكل جيد.



خلال النضال لتحرير فلسطين أُعطى إهتمام زائد لبناء محطات للإذاعة من قبل كل من فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية. كان يمكننا أن نستخدم الموجات المحلية الحكومية لمدة حوالي ساعتين يومياً في كل من الجزائر والعراق وسوريا ومصر واليمن، إلا أنه في الدول الأخرى كالأردن ولبنان كان يتعين علينا أن نبني محطات إذاعاتنا بأنفسنا. كانت الإذاعة موجهة أساساً إلى المناطق المحتلة من فلسطين، مستخدمين في معظم الأحيان الموجات المتوسطة، حيث كانت ترسل الأخبار والتعليقات السياسية والبرامج السياسية والوطنية والأناشيد الوطنية على الهواء.

كما كنا أيضاً نرسل بعض التعليمات إلى الأعضاء في المناطق المحتلة بصورة مشفرة. كان المواطنون الفلسطينيون يستمعون متحمسين لهذه الكلمات المشفرة. فمثلاً عندما يُذاع "لا تأكل التفاح. المشمش أفضل"، كان ذلك يُحير الناس العاديين، كما أنه كان يحير السلطات الإسرائيلية، فلم يكونوا يعرفون ماذا تعني هذه

الشفرة حقيقة، إلا أن الفلسطينيين كانت ترتفع معنوياتهم عند سماع ذلك، لأنهم كانوا يتوقعون حدوث شئ ما بعد ذلك.



## معسكرات الأشبال والزهرات

في فترة تصاعد النضال الفلسطيني إلى قمته إمتدت الأنشطة إلى مختلف المجالات. كان أحد هذه المجالات هي معسكرات التدريب العسكري للأطفال من الأولاد والبنات، أو كما كنا نسميهم الأشبال والزهرات. حيث كان الأطفال يشاركون برغبتهم المطلقة بعد إنتهاء اليوم المدرسي وذلك في معسكرات بالقرب من مدارسهم. كانت هناك معسكرات للأشبال ومعسكرات للزهرات. وكانت هذه المعسكرات تقام للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6-14 سنة. أما الشباب من سن 14-17 فقد كانت تقام لهم معسكرات تقدم لهم تدريبات أعنف.

في معسكرات كل من الأشبال والزهرات كان الأطفال يتلقون تدريبات عسكرية عنيفة قياساً لأعمارهم. حيث كان كل طفل منهم يتعلم كيف يفك بندقية ثم يعيد تجميعها بسرعة، بعد عصب عينيه. كان بعض الأطفال يُنجز هذه المهمة أسرع من بعض الجنود النظاميين. كانت الخطوة التالية مثلاً الزحف إلى الأمام في وجود عوائق، وفي بعض الحالات في وجود أسلاك شائكة، بينما كان الرصاص يُدوي حولهم من قبل المدرب.

لقد كان لي أن شاهدت هذه التدريبات العسكرية للأشبال

والزهرات عدة مرات. في إحدى هذه المرات، كان الأشبال يركضون في دائرة قطرها حوالي عشرين متراً، كان يتوسط هذه الدائرة مدرب يُطلق الرصاص بالقرب من أقدام الأشبال والزهرات. كان المدرب فعلاً خبيراً جداً في التصويب، حيث كان يُصوب بندقيته على كعوب أحذية الأشبال والزهرات دون أن يجرحهم.



في معسكرات الأشبال والزهرات كانت التدريبات العسكرية تتم ليلاً في بعض الأحيان. في إحدى الليالي ذهبت إلى أحد المعسكرات في سيارتي، وكان هناك شبّان يقومون بنوبة حراسة في موقعين يبعدان ما بين 20 - 30 متراً عن المدخل الرئيسي. كان ذلك حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل. عندما إقتربت من المدخل صاح أحدهم: "قف". طلب مني النزول من السيارة، وهو في وضع الإستعداد للضغط على زناد بندقيته الآلية. بالطبع كان معي مدفعي الرشاش، إلا أنني لم أرغب في إستخدامه. ثم "أمرني" بعد ذلك أن أطفئ أنوار السيارة. لم أكن أستطيع أن أرى وجهي الشبّلين بالمرّة، لكنني كنت أسمع صوتيهما فقط، كانا يغيران ويموهان في صوتيهما، وهذا كله جزء من تدريبهم.

إذا كنت أريد دخول المعسكر، كان يجب عليّ أن أخبرهم بكلمة السر، التي تتغير عادة كل ليلة، ولذلك فقد سألاني عن كلمة السر، ولكنني قدمت نفسي بقولي أنا لا أعرف كلمة السر ولكنني أحد أعضاء لجنة فتح لمنطقة عمان، "أنا أبو فلان". فردا بقولهما:

"إننا لا نعرف عما تتحدث، وسنطلق عليك النار إذا لم تخبرنا بكلمة السر."

وأضافا قائلين:

"لا تمش ولكن تقدم زحفاً".

ومع أن فكرة رفض طلباتهم حفاظاً على شرفي وكرامتي قد جالت بخاطري، إلا أنه كان يظهر أنهما على إستعداد جدي لإطلاق النار في أي لحظة. لقد تجادلنا معاً لعدة دقائق إلا أنها ظهرت لي كزمن طويل. في النهاية إختفيا بسرعة داخل المعسكر المكون من عدة خيام، وحضر قائد المعسكر وسمح لي بالدخول بعد أن إعتذر عما حدث!!

بعد ثلاث سنوات تقابلت في القاهرة مع قائد هذا المعسكر حيث أطلعني على سر ما حدث في تلك الليلة، حيث قال أن أحد الشبلين ما هو إلا أحد إخوتي الصغار. بالطبع فإن أخي كان يعرف أنني الذي كنت هناك، إلا أنه كان يعرف أننا نتعامل في الثورة ليس بالعلاقات الأسرية ولكن بالعلاقات الثورية!!

لقد عرفت بعدها أن أخي كان يقول في ذلك الوقت: "إذا حضر شخص يقول إنه ينتمي إلى القيادة، أيا كان هو، حتى لو كان أخي، فلن ندعه يدخل المعسكر إلا بعد أن يقول كلمة السر. هذا واجب مهم بالنسبة لنا حتى نحمي معسكرنا!!"



في فلسطين نهض الجميع، حتى الأطفال، بنادقهم في أيديهم لتحرير أرضهم. قد يقول قائل: إن زج الأطفال في القتال أمر غير

معقول، إلا أن مشاركة الأطفال في النضال تدل على تصميمهم للمشاركة في كسب معركة تحرير فلسطين، حتى وإن إستمرت لعدة أجيال.

إنني أتعمد تجنب عدم التوسع في الحديث عن وقائع تلك الفترة وذلك لأن النضال لا يزال مستمراً حتى الآن، ولا بد أن أحافظ على أمن هؤلاء الذين تتعرض لهم هذه المعلومات، ذلك أن معظمهم مازالوا أحياءاً.

إن ما أقوله لكم هنا لن تقرأوه في كتب التاريخ، إنه قصة لا يزال تجري أحداثها على الأرض حتى الآن.

